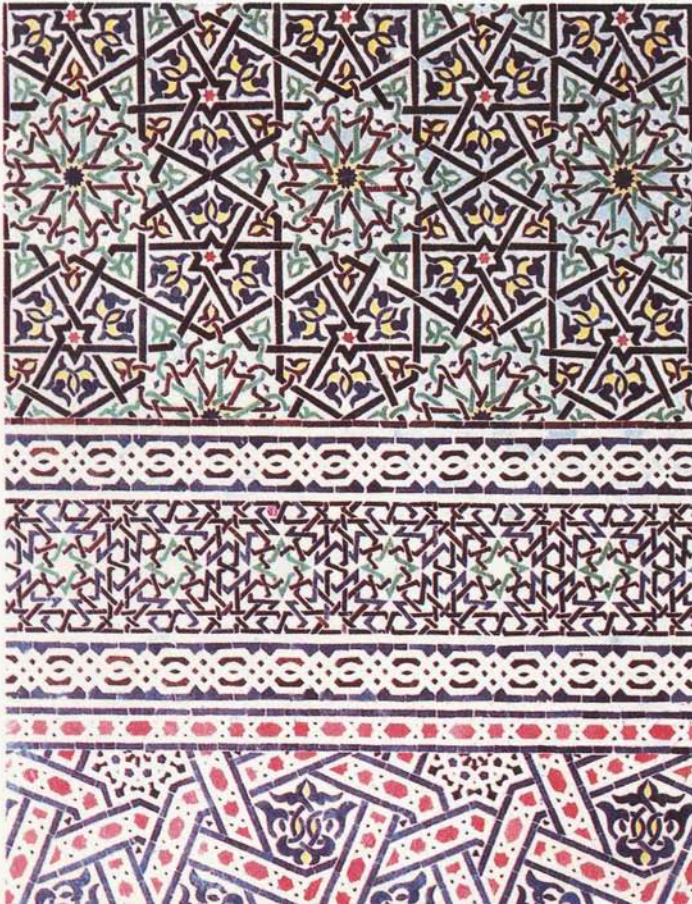


التُّرَاثُ الْمَغْرِبِيُّ وَالْأَدَبُ الْقَلْبِيُّ

التَّوَثُّيُّ وَالْفِرَاءَةُ



التراث المغربي والإفريقي تكاليسي
التوثيق والفراءة

تعبير المقالات والأبحاث الواردة
في هذه الندوة عن آراء
أصحابها. وعليهم وحدهم
مسئوليتها.

المملكة المغربية

جامعة عبد الملك السعدي
كلية الآداب والعلوم الانسانية
تطوان

* * *

منشورات الكلية — ندوات (4)

* * *

المدير المسؤول : قيوم الكلية د. محمد الكتاني

العنوان

كلية الآداب والعلوم الانسانية
صندوق البريد 26 — مرتيل — تطوان
المغرب

الايداع القانوني رقم : 1987/1

ISSN 0851-0393

الثلث : 50 درهماً

ابتداءً من هذا السفر ستصدر
الكلية أعمال الندوات على
حدة ومجلتها السنوية على حدة
أخذاً كل منها رقماً تسلسلياً
خاصاً به.

مَنْشُورَاتُ الْكَلِيَّةِ
نَدَوَاتُ
4

جَامِعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ السَّجْدِي
كَلِيَّةُ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَطْوَانَ

التُّرَاثُ الْمَغْرِبِيُّ وَالْإِسْلَامُ التَّوَثُّوقُ وَالْفِرَاءَةُ

19.20.21 أبريل 1991

الفهرس

- 9 — الكلمة الافتتاحية للسيد قيدوم الكلية
13 — كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية لملتقى الدراسات المغربية الأندلسية

مقالات وأبحاث حول : التوثيق والتحقيق

- تحقيق التراث النحوي الأندلسي : الواقع والمأمول [نظرات في تحقيق
ثلاثة نصوص نحوية أندلسية]
19 د. عياد الشبتي
— أوليات منهجية لتحقيق التراث المخطوط «روضة التعريف» نموذجاً
43 د. محمد الكتاني
— كتب تراجم الرجال بالأندلس نظرات في الضبط والتحقيق
59 عبد الله المرابط الترغي
— نشر التراث الأدبي المغربي بين الواقع والمثال مع صنع ديوان أبي الحسن
الحرّالي المراكشي
71 ذ. جعفر ابن الحاج السلمي
— أصول التوثيق العلميّ وكتاب (البدع والنهي عنها) لابن وضاح من
خلال تحقيقين
101 ذ. محمد المنتصر الريسوني
— الفتاوي الأندلسية وتقويم تحقيق فتاوي ابن رشد
131 د. محمد أبو الأجفان
— قراءة نقدية توثيقية جديدة لكتاب «العمدة» لابن رشيق
163 د. محمد قرقران

- التعريف بمخطوط أندلسي — نادر ونفيس —
- 183 ذ. أبو القاسم محمد كبرو
- كتاب أسماء شيوخ مالك بن أنس
- 199 ذ. عبد العزيز الساوري
- نصوص مخطوطة من التراث الأندلسي
- 225 ذ. عبد الحميد عبد الله الهرامة
- التراث المغربي والأندلسي في مؤلفات المؤرخين العراقيين
- 235 د. عبد الواحد ذنون طه
- محاولة تقويم لبعض التحقيقات المنجزة لمصادر ما بعد سقوط غرناطة
- 251 د. محمد رزوق
- دليل الأعلام المغاربة الأندلسيين في العصر الإسلامي
- 259 الدكتور محمد بوعياض
- تقييم البحوث الأجنبية في المسكوكات المرابطية
- 269 الدكتور صالح بن قرية
- مخطوطات مفرسة حديثاً لأحمد زروق في ثلاث مكاتبات إسبانية
- 285 د. ب. خ. كالابوتو
- حول رسائل اليوسي المجهولة في كتاب — نزهة الناظر — لأحمد بن عبد القادر التستاوتي
- 291 أحمد طريقي اليدري

مقالات وأبحاث حول :

القراءة والتراث والتعريف به

- بين ابن دراج القسطلي وابن هانيء الحكمي أبي نواس
- 317 د. عبد الله الطيب
- التجديد المنهجي والمجتمع الطائفي
- 345 د. محمد بن عبود

- العوامل المؤثرة في مصداقية الفتح بن خاقان في كتابه : مطمح الأنفس
وقلائد العيان
- 363 د. صلاح جرّار
- صفحات غامضة من تاريخ غرناطة النصرية في القرن التاسع الهجري/
الخامس عشر الميلادي
- 371 ذة. ميلودة الحسناوي
- ضوابط فهم الشعر في شروح الأعلام الشنتمري
- 383 محمد الأمين المؤدب
- ابن عاصم الغرناطي وكتابه : «حدائق الأزهر»
- 395 د. عبد اللطيف عبد الحليم أبو همام
- أدب لحن العوام ببلاد المغرب — قراءة وتقويم —
- 429 ذ. أحمد الطاهري
- الرسائل المزوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي
- 441 ذ. محمد مسعود جبران
- ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية — الأندلسية :
قراءة في كتاب «عالم علماء الأندلس» لدومينيك أورفوا
- 507 ذ. الشريف محمد
- من هنات الترجمة والتأريخ الأدبيين لآل شهيد القرطبيين
- 519 ذ. حدوش العياشي

نظمت شعبة اللغة العربية الندوة الثالثة لملتقى الدراسات المغربية
الأندلسية حول موضوع التراث المغربي والأندلسي : التوثيق والقراءة
أيام 19-20-21 أبريل 1991 .
وهذا السفر يضم معظم الأبحاث والمقالات الملقاة خلال أيام الندوة.

أدب لحن العوام ببلاد المغرب قراءة وتقويم

ذ. أحمد الطاهري

كلية الآداب — المحمدية

من المتعارف عليه بين المهتمين بالتاريخ الاجتماعي أن طبقات العوام لم تنل كل ما تستحقه من الاهتمام. وذهبت بعض الدراسات⁽¹⁾ إلى حد القول بتعذر تكوين تصور متكامل من عديد من قضايا الماضي العربي — الاسلامي دون استدراك ذلك. ولعل في العناية بأدب لحن العوام، جمعا وتحقيقا، قراءة وتأملا يساهم في رصد بعض مواطن الخلل في تصوراتنا تجاه الماضي اللغوي، وما يقدم عناصر جديدة لمراجعة أكثر إيجابية لدور العوام في الميدان اللغوي.

وفي استحضار الظروف الاجتماعية التي صاحبت بروز هذا النوع من التأليف، واستقراء التطورات اللاحقة، ما يساهم في فهم العوامل التي تحكمت في ميلاده خلال القرن الهجري الثاني⁽²⁾ وفي استمراريته بعدئذ وشموليته لجناحي دار الاسلام بالمشرق والمغرب. يلخص ابن قتيبة⁽³⁾ الارتباط الوثيق بين ظاهرة اللحن والتحويلات العميقة والشاملة التي رافقت فترة التأسيس في رواية شهيرة وبالغة المعنى، نصها: «دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون، فقال: سبحان الله يلحنون ويربجون ونحن لا نلحن ولا نربح». ولقد كان الزبيدي⁽⁴⁾ أكثر توضيحا لدور التطور المدني الهائل والتفاعل الاجتماعي والثقافي العميق في الفصل بين

(1) عامة قرطبة في عصر الخلافة: دراسة في التاريخ الاجتماعي الاندلسي: منشورات عكاظ: الرباط 1989: ص 7.

(2) يعتبر كتاب ما تلحن فيه العامة لابي الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة 189 هـ اقدم الكتب المصنفة في لحن العامة تحقيق رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي: القاهرة 1982.

(3) عيون الأخبار: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: القاهرة 1964: 159.

(4) لحن العامة: تحقيق عبد العزيز مطر: دار المعارف: القاهرة 1981: 34 — 35.

مرحلتين لغويتين بقوله : « لم تزل العرب في جاهليتها وصدر اسلامها تبرع في نطقها بالسجية وتكلم على السليقية حتى فتحت المدائن ومصرت الامصار ودونت الدواوين، فاختلف العربي بالنبطي والتقى الحجازي بالفارسي ودخل الدين اختلاط الامم وسواقط البلدان فوق الخلل في الكلام وبدأ اللحن في السنة العوام».

ما كان لهذا المنحى في بلاد المغرب إلا أن يستفحل، خصوصا لدى الأجيال اللاحقة، فلقد «فشا اللحن وكثر بعد اختلاط الناس وكثرتهم ونشوء الذرية على ما فسد من نطقهم» على حد تعبير احد اللغويين⁽⁵⁾ في حين يكشف ابن حيان عما آل إليه الوضع اللغوي بالاندلس في أواخر عصر الخلافة بالقول : «فأحى لذلك رسم الأدب بها، وغلب عليها العجمة وانقلب أهلها... إلى العامية الصريحة»⁽⁶⁾ ويبدو أن هذه الوضعية ازدادت رسوخا خلال القرن الخامس الهجري ورد في نص رسالة لاحد ملوك الطوائف الى وزير مصري : «ان اهل مغربنا مرتضعون العجمة مدرعون الحشمة، بمصاقبة الثغور الحشنة ومجازبة الألسن الثقيلة، وممازجة الامزجة الكليلة»⁽⁷⁾ وفي نص بالغ الدلالة لابن مكى الصقلي⁽⁸⁾ ما يكشف عن شولية هذه الظاهرة لمناطق اخرى من بلاد المغرب، وعن الدوافع التي حفزت اهل القلم بهذا الجناح من دار الاسلام الى تكثيف التأليف، هم كذلك، في ميدان لحن العوام، اذ قال : «هجم الفساد على اللسان وخالطت الاساءة الاحسان ودخلت لغة العرب فلم تزل كل يوم تنهدم اركانها وتموت فرسانها حتى استبيح حريمها وهجن صميمها وعفت آثارها وطفئت انوارها».

أسفرت هذه المجهودات عن ثروة لغوية هامة في هذا المجال، وتقدم الفهارس البليووغرافية⁽⁹⁾ وكتب التراجم والطبقات⁽¹⁰⁾ وغيرها من المصادر القديمة⁽¹¹⁾

(5) نفسه : 35.

(6) انظر : ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة : تحقيق احسان عباس الدار المغربية للكتاب : ليبيا — تونس 1981 : ق 1 م 1 : 67.

(7) نفسه : ق 3 م 1 : 401.

(8) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : تحقيق عبد العزيز مطر : دارالمعارف : القاهرة : 1981 : 43.

(9) انظر : فهرسة ابن النديم — دار المعرفة بيروت صفحات : 85 و 87 و 116. وكذلك فهرسة ابن خير الاشبيلي تحقيق فرانسيسكو كوديرا : مؤسسة الخانجي الطبعة الثانية : القاهرة 1963 : صفحات : 346 و 347 و 348.

لوائح مستفيضة بعناوين كتب لحن العوام التي ألقت بالمشرق الاسلامي وبالمغرب والاندلس طوال عدة قرون. مما يؤكد ان قصور اهل القلم القدامى لم يكن كميا⁽¹²⁾ ومع ذلك، فمن الملاحظ أن جزءا هاما من هذه الثروة ما زال بين المفقود والمخطوط، وما زالت ملاحظة احد الدارسين⁽¹³⁾ بأن «المتداول من كتب المتقدمين في لحن العوام قليل جدا بالنسبة لما وضع فيها» سارية المفعول، رغم الجهود القيمة لثلة من الدارسين خلال العقود الأخيرة على مستوى الدراسة والتحقيق⁽¹⁴⁾.

تجردت هذه الكتب، كما يتضح من محتويات ما هو معروف منها، لمقاومة التطورات اللغوية المستجدة، والمساهمة مع بقية الجهود اللغوية في وضع الخط الأحمر الفاصل بين لغة فصحي يراد لها الانضباط والثبات، وعاميات ما فتئت

(10) انظر : القفطي : انباه الرواة على انباء النحاة : تحقيق أبو الفضل ابراهيم : دار الفكر العربي : القاهرة 1986 : ج 1 : صفحات 71 و 77 و 185، ج 2 : 62، ج 3 : 286، ج 4 : 187.

(11) ابن مكّي الصقلي : المصدر السابق : 324 انظر كذلك : ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب : تحقيق محمد الاحمدي : دار التراث : القاهرة ج 2 : 1976 : 275، ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة : تحقيق محمد عبد الله عنان : مكتبة الخانجي : القاهرة : م 3 الطبعة الأولى 1975 : 145.

(12) حاول عيسى اسكندر المعلوف منذ الثلاثينات من هذا القرن احصاء كتب لحن العوام، المطبوعة منها والمفقودة والمخطوطة انظر : مجلة مجمع اللغة العربية العدد الأول : أكتوبر 1934 : صفحات 350 — 368 وكذلك العدد الثالث : أكتوبر 1936 : صفحات 349 — 371 كما قدم الدكتور رمضان عبد التواب لوائح بحوالي 52 عنوانا في دراسته : لحن العامة والتطور اللغوي : دار المعارف : القاهرة 1967، كما تقدم لائحة عبد العزيز مطر عناوين 34 كتابا الفت إلى حدود القرن السادس الهجري، انظر كتابه : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : صفحات 70 — 94.

(13) حسن حسني عبد الوهاب : الجمانة في ازالة الرطانة : بحث في لغة التخاطب في الاندلس وتونس لبعض علماء القرن التاسع الهجري : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية : 1953.

(14) اذكر منها بالخصوص اعمال رمضان عبد التواب وعبد العزيز مطر، ومؤخرا أجرى حوصي بيرث لاثرو دراسة قيمة لكتاب ابن هشام اللخمي : المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان، الذي اخرجه في تحقيق جديد ضمن منشورات المجلس الأعلى للابحاث العلمية : المصادر الاندلسية : 6 مدريد 1990.

تتشكل وتتطور وتتداخل. ولم يدخر اللغويون وسعا في استنكار العاميات ووصفها بأرذل النعوت، فمن كونها كلاما جلفا⁽¹⁵⁾ مردولا⁽¹⁶⁾ أو مبتدلا⁽¹⁷⁾ ذليلا إلى اعتبارها منكرا بشعا⁽¹⁸⁾ وبلغ الأمر بالبعض⁽¹⁹⁾ إلى حد الاعتقاد بأن في العامية من العبارات ما يوجب استعمالها التكفير.

لم يقتصر الامر على ذلك، بل تجاوزه على غرار مواقف بقية أهل القلم إلى القذف والتحامل على العامة كطبقات اجتماعية، واصفين إياهم بـ «الرعاع والهمج»⁽²⁰⁾ وبـ «الدهماء والسقاط»⁽²¹⁾ و«البطالين الأميين»⁽²²⁾ وغير ذلك من نعوت الاحتقار، متهمين إياهم بافساد اللغة العربية، ومعتبرين ما يختلفون فيه مع الفصحى خطأ ولحنا. سواء كان ذلك على مستوى النطق أو الحركة أو البناء، وغير ذلك من أوجه الاختلاف.

مع ذلك، فمن الانصاف التذكير بأن ثمة فعاليات في الفكر العربي الاسلامي امتنعت عن التحامل واقرت بالتطور اللغوي، ونظرت إلى كل من الفصحى والعامية باعتبارهما مجالا للمعرفة اكثر مما هما ميدانا للسجال. ففي المشرق، لم يتردد المقدسي في ابراز أهمية التعرف على الاختلافات اللغوية الاقليمية والاستيناس بتنوع الألفاظ والمصطلحات قصد توظيفها عند التجرد للتأليف⁽²³⁾ كما دعي إلى ضرورة التدقيق في اختلاف المفاهيم وحدود معاني الألفاظ المستعملة بين العامة

(15) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : تحقيق شوقي ضيف : دار المعارف : القاهرة : الطبعة الثالثة : 1978 : ج 1 : 121.

(16) ابن الجوزي : تقويم اللسان : تحقيق عبد العزيز مطر : دار المعارف : الطبعة الثانية 1983

(17) الشاطبي : الافادات والانشادات : تحقيق محمد أبو الأجنان : مؤسسة الرسالة بيروت 1983 : 157.

(18) ابن الجوزي : المصدر السابق : 66.

(19) كتاب جمعت فيه كلمات تجري على السنة العامة توجب كفر قائلها : مخطوط المكتبة الوطنية : باريس 812 (ضمن مجموع) ورقة 39.

(20) ابن جنى : سر صناعة الأعراب : تحقيق حسن هندأوي : دار القلم دمشق 1985 : 5.

(21) الزبيدي : المصدر السابق : 36.

(22) ابن الموائني : ربحان الالباب وربعان الشباب : مخطوط المكتبة الحسينية الرباط : رقم 2647 : 130.

(23) المقدسي : احسن المقاسيم في معرفة الأقاليم : بريل : ليدن الطبعة الثانية 1967 : 30 — 32.

والخاصة⁽²⁴⁾ واوصى بالتزام لغة مفهومة «ليقرب الوصف إلى الافهام، ويقف عليه الخاص والعام»⁽²⁵⁾ وآخذ على من سبقه من المؤلفين الاهتمام بـ «ما ليس للعوام فيه فائدة»⁽²⁶⁾ وفي الأندلس، لم يجد ابن حزم أي حرج في الاقرار بان «من تدبر العربية والعبرانية والسريانية ايقن ان اختلافها انما هو من.. تبديل الفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم»⁽²⁷⁾ ومع ابرازه لاهمية الأصول العربية للعامية الأندلسية، كشف عن بعض مظاهر تميزها وابتعادها عن اصولها «كلغة أخرى ولا فرق»⁽²⁸⁾ واقراراً منه بأهمية العامية، اتخذ من الفاظها مدخلا لكتابه في المنطق، وهي حسب الضبي⁽²⁹⁾ «طريقة لم يسلكها قبله احد» وعلى غرار موقف المقدسي السالف الذكر، تهجم على من سبقه من المترجمين لأنهم عمدوا إلى «تعقيد الترجمة في ايرادها بالفاظ غير عامية»⁽³⁰⁾ مفسراً موقفهم ذلك والسبب في «أغماض الألفاظ وتوعيرها وتخشين المسلك نحوها، الشح بالعلم والضم به»⁽³¹⁾.

ان في هذه النصوص ما يلمس بعضاً من جوهر المسألة اللغوية في الحضارة العربية الاسلامية الوسيطة. فمحاربة اللحن، والتحامل على العامية، والتصدي للقول بالتطور اللغوي، لم يكن كما ذهب إلى ذلك معظم الدارسين لاسباب مرتبطة بقراءة النص القرآني فقط، ولكن بالخصوص لاقصاء العامة عن حلبة الثقافة⁽³²⁾

(24) نفسه : 37.

(25) نفسه : 9.

(26) نفسه : 4.

(27) ابن حزم : الاحكام في اصول الاحكام : تقديم احسان عباس : دار الآفاق الجديدة بيروت 1983 : م 1 ج 1 : 32.

(28) نفس المصدر والصفحة.

(29) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس : تحقيق كوديرا/رييرا : مدريد 1884 : 403 — 404.

(30) ابن حزم : الرسائل : تحقيق احسان عباس : المؤسسة العربية للدراسات والنشر : الطبعة الأولى : بيروت 1980 : ج 4 : 100.

(31) نفس المصدر والصفحة.

(32) فغالبا ما حذر أهل القلم من تعليم العامة وتثقيفهم، ولقد ذكر أبو بكر الطرطوشي ان «تفقه الرعاع فساد الدنيا، وتفقه السفلة فساد الدين» كتاب الحوادث والبدع : تحقيق محمد =

والحفاظ على تحكم وسيطرة النخبة المثقفة من أهل القلم. مع ذلك فلا مناص من الاقرار بمساهمة كتب لحن العوام إلى جانب بقية المجهودات اللغوية في صيانة مكانة اللغة العربية الفصحى كلغة عالمية تسمو عن الاختلافات المحلية والاقليمية، وتساهم في ترسيخ الوحدة الثقافية والحضارية.

ومن جهة أخرى، برهنت هذه الكتب عن قصورها، وحدود فعاليتها عن مقاومة التأثيرات العامية. ولعل في النصوص السالفة ما يؤكد أن التطورات اللغوية كانت أقوى من أن تتمكن هذه الكتب من متابعتها والتصدي لتأثيراتها، مما دفع بها إلى التزام منهج انتقائي. ذكر ابن السيد البطليوسي⁽³³⁾ في سياق حديثه عن اخطاء الخواص والعوام بخصوص حرف الضاء أن غرضه لم يكن «حصر هذا النوع كله واستيعابه، فقصد.. منه إلى المستعمل المشهور، واضرب... عن كثير من الحوشي عند الجمهور» واعترف غيره⁽³⁴⁾ بالعجز عن الاستيعاب، والاقصاء على «ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه». ولا غرو، فالكلام العامي بلغ من التأثير أن اخترق مختلف الأوساط وجميع «الناس على اختلاف طبقاتهم»⁽³⁵⁾ ولم يستثن في ذلك أهل القلم، فقد عاين ابن الجوزي⁽³⁶⁾ «المنتسبين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول جريا منهم على العادة وبعدا عن علم العربية»، على حد تعبيره. لم يقتصر تأثير اللفظ العامي في صفوف هذه الفئة على مستوى لغة التخاطب اليومية، والحديث في المجالس والمناظرات الشفوية، بل تجاوزه إلى مستوى الكتابة والنظم، «حتى ضمنه الشعراء أشعارهم، واستعمله جلة الكتاب وعلية الخدمة في رسائلهم وتلاقوا به في محافلهم»⁽³⁷⁾ وفي هذا ما يفسر توجه بعض المصنفين⁽³⁸⁾ إلى التأليف في أوام الخواص ولحنهم، وتخصيص الأبواب والفصول

= الطالبي : تونس 1959 : 72 لمزيد من التفصيل انظر : احمد الطاهري : المرجع السابق : صفحات 173 — 176 واعتقد بان هذه المسألة بحاجة إلى بحث مستقل.

(33) الفرق بين الحروف الخمسة : تحقيق علي زوين : مطبعة العاقي : بغداد 1976 : 104.

(34) الزبيدي : المصدر السابق : 36.

(35) ابن مكى الصقلي : المصدر السابق : 46.

(36) المصدر السابق : 53.

(37) الزبيدي : المصدر السابق : 36.

(38) اذكر منهم على سبيل المثال، القاسم بن علي الحريري صاحب درة الغواص في أوام الخواص، =

من كتبهم لهذا الغرض (39).

بلغت المسألة اللغوية من التشابك والتداخل أن اختلط الأمر على المؤلفين في هذا الفن «فمنهم من قصر، ومنهم من رد ما لا يصلح رده»⁽⁴⁰⁾ وأصبح واضحاً أن «كثيراً من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون، وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون»⁽⁴¹⁾ ما كان على بعض مؤلفي كتب لحن العوام أمام هول التطورات اللغوية إلا أن يضطروا إلى التزام الانصاف، ومراجعة الأحكام الشائعة، والاقرار على الأقل ب «تساوي الناس في الخطأ واللحن»⁽⁴²⁾ ليس من مجال للشك إذا في عجز كتب لحن العوام عن احكام وضع الخط الأحمر الفاصل بين الفصحى والعامية.

وعلى عكس ما هو شائع، ساهمت العاميات بشكل فعال في اثراء العربية الفصحى التي تمكنت خلال القرون الخمس الهجرية الأولى على الأقل، من احتواء هذه الروافد وادماجها في سياق ما تقتضيه قواعدها. وبالمقابل، تزايد وقع اللسان العربي على العوام في مختلف المناطق، رقم التعدد الاثني فهاجرت جزءاً هاماً من ألسنتها الاصلية⁽⁴³⁾ وانخرطت مجتمعة في تشكيل لغة عامية للتخاطب اتخذت من

= وهناك عدة رسائل تتضمن مآخذ في اللحن والغلط على مثقفين وشعراء : انظر : عيسى اسكندر المعلوف : المرجع السابق.

(39) يتضمن كتاب تثقيف اللسان لابن مكّي الصقلي باباً فيما خالفت فيه الخاصة العامة وجميعهم على غلط، وباباً فيما العامة على صواب والخاصة على خطأ، وباب فيما تنكره الخاصة على العامة وليس بمنكر.

(40) ابن الجوزي : المصدر السابق : 55.

(41) ابن مكّي الصقلي : المصدر السابق : 43.

(42) نفس المصدر والصفحة.

(43) وهو ما عبر عنه ابن خلدون بوضوح تام اذ قال : «وهجر الامم لغاتهم وألسنتهم في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه العجمية دخيلة فيها وغريبة» المقدمة : تحقيق علي عبد الواحد وافي القاهرة 1959 : ج 3 : 889 وتقدم الاندلس بهذا الخصوص حقلاً نموذجياً للتأكد من صحة هذا المنحى، وليس أدل على ذلك من قول ألبرو القرطبي : «ان اخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وانما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميلاً صحيحاً... يا للحسرة، إن المهويين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا =

العربية منهلها الاساسي⁽⁴⁴⁾ وكثيرة هي الألفاظ والمصطلحات العامية الأصل استعملت في كتابات السلف وما زالت تستعمل على انها فصيحة، فعلى سبيل المثال، ذكر ابن الجوزي⁽⁴⁵⁾ الاصل العامي للقول «دخل في غمار الناس» وهي عبارة شائعة في المصادر التاريخية والدراسات الحديثة. وبالمثل فـ «المصر عند العوام كل بلد جليل مثل الري»⁽⁴⁶⁾ وهو نفس المفهوم الذي احتفظ به في كتابات السلف والخلف على السواء. ولقد كان أبو هلال العسكري اكثر وضوحا في ذكره «قول العوام شيء أزلي أي قديم ويصفون الله تعالى بالأزلية، وكل ذلك خطأ لا أصل له في العربية»⁽⁴⁷⁾ ومعلوم مدى شيوع هذا المصطلح في الكتابات القديمة والمعاصرة، بالخصوص الكلامية والفلسفية منها. ينطبق نفس الشيء على «الريحان، والريحان في الحقيقة هو كل ما فيه رائحة عطرية من الأشجار والنبات، الا ان العامة غلبوا هذا اللفظ وجعلوه علما في هذا النوع من الشجر الذي هو الآس»⁽⁴⁸⁾.

ويتجلى بوضوح تام الدور الفعال الذي لعبه العامة في اثناء اللغة العربية الفصحى عند الاطلاع على كتابات السلف في مجالات الطب والصيدلة، الفلاحة والنبات، وما يرتبط بذلك من مستحضرات وآلات ومواد وتقنيات ومنتجات وغيرها. فلقد تمكنت العامة بفضل موقعها الاجتماعي وبشكل طبيعي من مسايرة ركب التقدم الهائل الذي تم في اطار الحضارة العربية الاسلامية الى حدود القرن الخامس الهجري، وبالخصوص خلال القرنين الرابع والخامس، وذلك على مستوى ايجاد المصطلحات التقنية لمختلف المبتكرات المستجدة. في حين عمد المصنفون في

= لغة الحرب وآدابها... «انخل جنثالث بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي : ترجمة حسين مؤنس : الطبعة الأولى : مكتبة النهضة المصرية : القاهرة 1955 : 485.

(44) لمزيد من التفصيل : انظر : احمد الطاهري : المرجع السابق : 172 — 173، وتحتاج هذه المسألة لمزيد من التعميق بالدراسة والبحث في مراحل تاريخية أخرى وبمناطق متباينة من دار الاسلام.

(45) المصدر السابق : 103

(46) المقدسي : المصدر السابق : 47.

(47) ابن الجوزي : المصدر السابق : 78.

(48) الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار : تحقيق محمد العربي الخطابي : دار الغرب الإسلامي : بيروت 1985 : 9.

هذه المجالات، دون ادنى حرج، الى نقلها من المستوى الشفوي العامي إلى مستوى النص المكتوب. ويقدم النباي الاندلسي المجهول⁽⁴⁹⁾ أمثلة عن طرق ميلاد بعض المصطلحات. في حين، أشار غيره إلى اسهامات عامية متعددة في القاموس الطبي، اذكر منها على سبيل المثال «داء الشوكة»⁽⁵⁰⁾ و«الحصبة»، و«الجدري»⁽⁵¹⁾ وغيرها. وتعد كتب الفلاحة باسماء الالات⁽⁵²⁾ والمستحضرات⁽⁵³⁾ وغيرها. وهي نفس الظاهرة التي عاينها النحوي الاندلسي الشهير ابن سيده⁽⁵⁴⁾ اذ قال في نص مقتضب بالغ الدلالة: «هذا ما نشاهد الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الاسماء». يبدو أن الانهيار الحضاري والانغلاق الثقافي التدريجي خلال القرون اللاحقة ساهم في شل جزء هام من الانتاج التراثي، ومعه شلت طاقات من اللسان العربي. ولقد تمكنت الثورة العلمية الغربية خلال العصر الحديث من اكتساح العديد من المجالات، دافعة باهتمامات اللغويين العرب باسم تخصص لا يتلائم مع ثراء وتنوع تراثنا إلى الانزواء في حدود جد ضيقة.

نخلص إلى الاقرار باهمية العديد من المصنفات، التي من شأنها تغطية قصور كتب لحن العوام، بل وتوفير مادة غنية ومتنوعة كفيلا بتعميق البحث في لغة التخاطب العامية بالغرب الاسلامي، والكشف عن مواطن احتكاكها وتفاعلها مع الفصحى والاعجميات المتعايشة معها. فضلا عما تقدمه المؤلفات اللغوية⁽⁵⁵⁾

(49) ص 306.

(50) عبد الملك ابن زهر : التيسير في المداواة والتدبير : تحقيق ميشيل الخوري : دمشق 1983 : 387.

(51) نفس المصدر 433.

(52) انظر : ابن حجاج : كتاب الفلاحة : ضمن مجموع : مخطوط المكتبة العامة الرباط : رقم 1410 د : ورقة 94 — 95 وفي أماكن متعددة.

(53) انظر مستحضرات : مري العامة، المري البقيح، مري الحوت، مري المسطار : في نفس المصدر : ورقات 107 — 111.

(54) المخصوص : تحقيق لجنة التراث العربي : منشورات دار الآفاق الجديدة : بيروت بدون تاريخ : 5.

(55) انظر على سبيل المثال : هشام بن أحمد الوقشي : المنتخب من غريب كلام العرب مخطوط المكتبة العامة بالرباط : رقم 336 د : ورقة 145.

والأدبية⁽⁵⁶⁾ وكتب الأمثال العامية⁽⁵⁷⁾ والاشارات المتناثرة في كتب التراجم⁽⁵⁸⁾ والطبقات⁽⁵⁹⁾ والانساب⁽⁶⁰⁾ والمعلومات القيمة التي تحتويها بعض مصنفات التاريخ⁽⁶¹⁾ والجغرافيا⁽⁶²⁾ تطالعنا كتب الطب والفلاحة والنبات، كما يتضح مما سبق، بمادة ثرية، دقيقة وغير منتظرة. بل وحتى كتب الفقه⁽⁶³⁾ والكلام⁽⁶⁴⁾ لا تخلو من أهمية. المطلوب إذا إجراء قراءات واسعة ومتأنية في مختلف المصادر التراثية المتعلقة بالغرب الإسلامي، لجمع الألفاظ العامية قصد استكمال الجانب المتبور من كتب لحن العوام.

من الطبيعي أن تغفل كتب لحن العوام كل هذه المستويات، فالهاجس الكامن وراء التأليف في هذا الباب بعيد كل البعد عن الاهتمام بالعامية كلغة شعبية

(56) انظر: المقرئ التلمساني: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب : تحقيق إحسان عباس : دار صادر بيروت 1968 : م 1 : 125 و 149 و 154.

(57) مثل كتاب امثال العامة لعبد الله أحمد بن محمد الزجالي القرطبي المنشور بتحقيق محمد بن شريفة. ومن المفيد الاشارة إلى تخصيص كثير من المؤلفات اللغوية لفصول من كتبهم لهذا الباب، فالحديقة الخامسة من كتاب «حدائق الأزاهر لابن عاصم الاندلسي : تحقيق عفيف عبد الرحمن : دار المسيرة : بيروت 1987، صفحات 297 — 364، خصصت لأمثال العامة وحكمها.

(58) انظر ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة : س 1 : تحقيق بنشريف 144 — 145 وس 1 ق 2 : 477 وكذلك : ابن بسم : الذخيرة : المصدر السابق : ق 1 م 1 : 243.

(59) انظر : ابن فرحون : المصدر السابق : ج 1 : 332.

(60) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب : دار الكتب المصرية : بيروت 1984 : 115.

(61) انظر : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط : تحقيق احمد مختار العبادي : معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1971 : 165.

(62) انظر على سبيل المثال : ياقوت الحموي : كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقعا نشر وستنفلد جامعة كوثغن 1846 : 5.

(63) انظر : ابن رشد : الفتاوي : تحقيق المختار بن الطاهر التليبي : دار الغرب الاسلامي : بيروت 1987 : السفر 3 : 1320 وكذلك : الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب : نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية : 1981 : ج 4 : 154.

(64) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل : تحقيق محمد ابراهيم نصر/ عبد الرحمن عميرة : دار الجيل : بيروت 1985 : ج 5 : 77.

للتخاطب، بالكشف عن خصائصها والبحث عن جذورها وتمايزها، فضلا عن تفاعلها مع العربية الفصحى وغيرها من اللغات واللهجات المتعايشة معها.

لخص الزبيدي⁽⁶⁵⁾ دوافع وأسباب تحاشي تقديم مثل هذه المعلومات بقوله : «ولعل طاعنا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقي، واللفظ المستعمل العامي». ومع ذلك فبقدر ما يكشف هذا النص عن حدود قيمة هذه المصادر بالنسبة للباحث في علم الاجتماع اللغوي، بقدر ما ينبه عما تحتويه من مؤشرات فائقة الأهمية، فلقد اضطرت بحكم طبيعة مهمتها إلى إثبات العديد من الألفاظ العامية والتدقيق في حركاتها ونطقها ومواقع اختلافها مع الفصحى ومدى ابتعادها عن الابنية العربية. وعمدت في كثير من الأحيان إلى تصحيح حركات بعض الألفاظ الأَعْجمية الأصل حتى تنسجم مع القواعد اللغوية⁽⁶⁶⁾.

ولعل في الاقتناع بقيمة المواد الغير الفصيحة بالنسبة للبحث اللغوي المعاصر وللمهتمين بالتاريخ الاجتماعي، ما يدعو إلى شحذ الهمم للقيام بهذه المهمة المزدوجة المتمثلة، في جمع واعادة تركيب الألفاظ العامية المتناثرة في المصادر المختلفة، والبحث عن المفقود من كتب لحن العوام ونشر وتحقيق المخطوط منها. ويبدو أنه قد آن الاوان للتخلي عن منطق الخطأ والصواب، والانكباب على تحليل ما يدعى خطأ، والبحث في أصوله واشتقاقاته ومتابعة تطوراتها واجراء المقارنات بينه وبين امثاله في مناطق اخرى بكلا جناحي دار الاسلام.

(65) المصدر السابق : 38.

(66) انظر صفحات : 15 و 23 انظر كذلك نباي اندلسي مجهول : المصدر السابق : 222 وفي اماكن متعددة. ومن المعروف ان كثيرا من الألفاظ الاعجمية قد اندمجت في لغة العرب وتكيفت مع ابنيتهما. وبهذا الصدد برهن الجواليقي على سطحية الرأي القائل بتقاوة اصول العربية، اعتمادا على فهم مبسط لقوله تعالى «انا جعلناه قرآنا عربيا» وأشاد بتفوق علم وحجج القائلين بتضمن القرآن لـ «احرف كثيرة... من غير لسان العرب»، ويدل الانحلاط في جدال عقيم حول الشكليات صاغ موقفا توفيقيا يقرب ان الحروف بغير لسان العرب في الأصل.. ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته، فصار عربيا بتعريبها اياه فهي عربية في هذه الحال أعجمية الأصل المعرب في الكلام الاعجمي على حروف المعجم : تحقيق أبو الاشبال احمد محمد شاكر : دار الكتب المصرية : القاهرة/ 136هـ : 4 - 5.